المصورون يصنعون الثورات

الأحد 2011/8/14 المصدر : الأنباء عدد المشاهدات 2156

بقلم : فيصل الزامل

مشهد جندي وهو يدوس ظهر مواطن سوري مربوط اليدين ثم يقفز بوزنه الثقيل على ظهره لزيادة الألم، وصور إطلاق النار على المواطنين من مختلف الأعمار وتعذيبهم... الخ، لقد غيرت هذه الصور مسار الأحداث في سورية، ومثل ذلك فعلت الصور في الحالة المصرية، حيث استخدمها المصريون لمخاطبة الرئيس السابق مبارك بعبارات هي مزيج بين المرارة والسخرية مثل «ارحل يا ظالم» و«اطلع.. دا لو جن كان طلع» وكتب شخص آخر «أعمل لك ايه، الورق خلص.. ارحل بأه» استخدم جسده لكتابة تلك الكلمات، وبسبب قوة تأثير الصورة ركزت قناة الجزيرة على مشهد ميدان التحرير من دون تحريك الكاميرا لعدة أيام، ارتفع عدد المحتشدين بسببها من بضع مئات إلى مئات الآلاف، فليس خطأ أن يقال «كانت الصورة هي وقود الثورة المصرية» وغيرها.

في عام 1999 قررت واشنطن التدخل في الصومال لوضع حد للحرب الأهلية، إلا أن مسار الأحداث تغير تماما بعد نشر صورة جندي أميركي تم قتله وتجريده من ملابسه بصورة مهينة، فصدر قرار بالانسحاب، مع ترك الصومال يواجه مصيره بمفرده، وفي الولايات المتحدة نفسها أدت لقطات وتسجيلات الى فضيحة «ووتر غيت» التي اضطر معها الرئيس نيكسون الى تقديم استقالته، في أول حالة من نوعها في هذا البلد الذي قال رئيسه الأسبق جون كيندي: «الصورة هي الواقع».

الانتفاضة الفلسطينية أيضا استفادت - إلى حد ما - من نشر صور قصف الجيش الإسرائيلي للأطفال في غزة، وبقية المشاهد مثل صورة الطفل محمد الدرة مع والده الذي كان يشير إلى الجنود ليمنع إطلاق النار عليه وعلى ابنه ثم لقطة أخرى وقد انهمر عليهما الرصاص فمات هو وابنه محمد في حضنه، ولولا انقسام الفلسطينيين – بسبب اختراق اليهود لصفوفهم - لتغير مسار الأحداث في القضية الفلسطينية.

تابعت ذات مرة برنامجا حواريا في قناة البي. بي.سي مع مصورين أجانب تحدثوا فيه عن معاناتهم لالتقاط الصور في مناطق الحروب، وكم من زميل فقده في تلك المهنة التي تغير مسار التاريخ، طأطأ المصور الانجليزي رأسه عندما تذكر زملاءه الذين استقلوا سيارة أجرة على الحدود اللبنانية، قصفهم الجيش الإسرائيلي من دون إنذار، مات جميع الركاب، وكان السائق قد حذرهم من خطورة المرور قرب الحدود، ولكنهم أقنعوه بالمحاولة.

يقول د.عبدالرحمن السميط: «تحدثت عن المجاعة في الصومال وكيف أنهم يتتبعون مشي النمل إلى جحره ويحفرون ليأخذوا حبات الرز التي جمعها النمل، قال لي شخص «لا تبالغ كثيرا يا دكتور»، والحمد لله أني صورت ذلك بالفيديو، فلما شاهده ذهل صاحبي هو والجالسون».

اليوم تغير الحال عن الثمانينيات حينما تمت مذبحة الأكراد - 83 ألف قتيل - بعيدا عن الكاميرات، وقبلها عشرة آلاف في حماة عام 1982، فقد أصبحت الصورة متاحة لعموم الناس بسبب الهواتف النقالة، وتكمن الأهمية في تواجد أي شخص في موقع حدث مهم وأخذه اللقطة بطريقة مناسبة للنشر، لهذا تشتري الصحف ومحطات التلفزيون بعض اللقطات النادرة، بل اشترت شركة طيران تصويرا بالفيديو لسقوط طائرتها قرب جزيرة سيشيل، كان شاب سائح يصور زوجته على الساحل، ثم تابع انخفاض الطائرة باتجاه البحر الى أن سقطت، وقد استفادت الشركة من اللقطة في التحقيقات.

كلمة أخيرة: في المصطلح اللغوي يتداخل معنى كلمة مصور مع كلمة نحات، والذي جاء في الحديث الشريف يختص بالنحات، قال صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة، المصورون أشد الناس عذابا يوم القيامة، يضاهئون بخلق الله، يقال لهم أحيوا ما صورتم»، ويكمن التفريق بين العملين في وجود الظل للنحت، والثاني هو انه انعكاس للأشعة، لا مضاهاة فيه لخلق الله عز وجل.